الفصل الثاني

الحركة الوطنية المصرية ومحاولات بعث الفرعونية

صاحب التطورات السياسية التي مرت بها مصر ، و الفجيعة الأليمة التي منيت بها من جراء الاحتلال البريطاني لها عواطف سياسية تأججت في نفوس المصريين خلال تلك الفترة ، و ذكرتهم بتاريخ بلادهم القديم ، و الأمجاد التي حققها أجدادهم، فبعد أن كانوا لا يهتمون بآثار بلادهم و ينددون بها[٤٥] برزت دعوة " مصر للمصريين " كرد فعل من الوطنيين ضد محاولات النيل من بلادهم فبدأ رجالات الحركة الوطنية ، و دعاة الحرية و الاستقلال يثيرون الحماس في نفوس الأهالي ، و يحاولون بث الشعور الوطني لديهم عن طريق إحياء المجد الفرعوني و إبرازه أمامهم لدرجة أن أصبح الإشادة بمصر القديمة ومجدها لوناً من ألوان الوطنية فإذا الخطيب لا يجد إلا مصر القديمة يذكر الناس بمجدها ويعيد إلي أذهانهم ذكرها ، و إذا الشاعر لا يجد غير الهرم الأكبر و أبي الهول ينظم فيها عريضة ليستثير العزائم و يوقظ النفوس حتى استبان للناس أن العلاقة بين مصر القديمة والحديثة أمر يتصل أوثق اتصال بالقضية الوطنية فانطلق جمال الدين الأفغاني يشحذ قلوب تلاميذه و مريديه ، و يوقظ روح الحمية و الحماس بينهم عن طريق تذكيرهم بأمجاد أجدادهم " انظروا أهرام مصر ، و هياكل منفيس ، و آثار طيبة ، و مشاهد سيوة ، و حصون دمياط ، فهي شاهدة بمنعة آبائكم ، و عزة أجدادكم ." هبوا من غفلتكم ، اصحوا من سكرتكم ! عيشوا كباقي الأمم أحراراً سعداء "

و إلي جانب ذلك دعا الأفغاني المصريين إلي التمسك بالأصول التي كان عليها آباؤهم و أسلافهم حتى يمكن إصلاح أحوالهم و أمورهم[٤٦] كما بدت طلائع هذا الاتجاه في شعر محمود

[٤٥] أنظر علي سبيل المثال محمد المويلحي : حديث عيسى بن هشام أو فترة من الزمن : القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٤١هـ/١٩٢٣م ص٤٣٦.

[٤٦] للتفاصيل أنظر أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٩٧١م ص٦٣-١٢٨.

سامي البارودي[٤٧] واحمد شوقي وحافظ إبراهيم فكتبوا القصائد الشعرية التي حركت المشاعر في نفوس المواطنين ، وأثارت في نفوسهم روح الفداء والجهاد ، وذكرتهم بأمجاد بلادهم وعظمتها خلال العهود السالفة فكتب البارودي مشيدا بأمجاد مصر القديمة فوصف الأهرام وأشاد بعظمة بناتها فقال:

سل الجيزة الفيحاء عن هَرَمَيْ مِصر
لعلك تدري غيب ما لم تكن تدري
بناءان ردا صولة الدهر عنها
ومن عجب أن يَغْلبا صَوْلة الدهر
أقاما علي رغم الخطوب ليشهدا
لبانيهما بين البرية بالفخر
فكم أمم في الدهر بادت وأعصر
خلت وهما أعجوبة العين والفكر[٤٨]

ثم جاء احمد شوقي[٤٩] من بعده فتوسع في هذا الاتجاه حتى أصبح شاعره الفذ فقال في قصيدته التي وجهها إلي أبي الهول.

أبا الهول طال عليك العُصُرْ
وبلغت في الأرض أقصي العمرْ
فيالِدَة الدهر لا الدهر شب
ولا أنت جاوزت حد الصغر
إلامَ ركوبكَ مَتْنَ الرمال
لطي الأصيل وجَوْبِ السحَرْ

وختمها بقوله

تحرك أبا الهول هذا الزمان
تحركَ ما فيه حتى الحجر

وقال في قصيدته التي خاطب فيها الكولونل الأمريكي تيودور روزفلت الذي زار مصر في عام ١٩١٠ والتي زار مصر في عام ١٩١٠ والقي خطبه في الجامعة المصرية نددد فيها بحركة المطالبة بالدستور ، وتحدث عن مآثر الاحتلال ، وانتقص من قدر المصريين

وأنا المحُنقي بتاريخ مصر
من يصن مجدَ قومهِ صانَ عِرْضا [٥٠] وقال في يناير ١٩٢٣ بعد اكتشاف كنوز توت عنخ أمون يشيد بحضارة القدماء المصريين وكيف بلغوا الشأن العظيم من المجد:

وسر العبقرية حين يسري
فينتظم الصنائع والفنونا
وآثارُ الرجال إذا تناهتْ
إلي التاريخ خير الحاكمينا

ومن قصيدة أخري له عن "أبو الهول" يقول:

---

[٤٧] أحد زعماء الثورة العرابية ، تولي رآسة وزارة الثورة في عام ١٨٨٢ ونفي مع زملائه إلي جزيرة سيلان وظل في منفاه نيفا وسبعة عشرة عاما ، ويعده البعض إمام الشعراء المحدثين قاطبة.

[٤٨] أنظر ديوان البارودي حـ١ ص ١٤٩.

[٤٩] حمل لواء النهضة الشعرية ، ولقب بأمير الشعراء كما لقب بشاعر العربية الأكبر ، والتحق بديوان المعية الخديوية ، وعلت منزلته لدي الخديوي عباس حلمي الثاني.

[٥٠] انظر الشوقيات حـ٤ ، القاهرة ، المكتبة التجارية ١٩٤٨ ص ٦٩.

ظليل الحضارة في الأولين
رفيع البناء ، جليل الأثر
يُؤسسُ في الأرض للغابرين
ويغرس للآخرين الثمر[٥١]

وإلي جانب ذلك قام شوقي بتذكير الشباب بماضيهم وأمجاد أجدادهم فقال

اليوم نسود بأيدينا ونعيد محاسن ماضينا .
ونشيد العز بأيدينا ولمن نفديه ويفدينا

ولما كان التاريخ هو ذاكرة الأمة ، فقد حاول شوقي تنبيه أبناء أمته إلي ذلك فقال بمناسبة تأليف كتاب فتح مصر الحديث لحافظ بك عوض

مثل القوم نسوا تاريخهم
كلقيطٍ عَيِ في الناس انتسابا
أو كمغلوبٍ علي ذاكرة
يشتكي من صله الماضي انقباضا [٥٢]

وظل شوقي يتغني بأمجاد مصر حتى أدركته الوفاة في عام ١٩٣٢م

أما عن حافظ إبراهيم[٥٣] فقد كان شعره معينا لا ينضب من الكفاح الوطني والثورة علي الاحتلال وقد عبر عن هذه العاطفة الملتهبة في قصيدة له عام ١٩٠٩م حيث يقول :

لعمرك ما أرقت لغير مصر
وما لي دونها أمل يرام .
ذكرت جلالها أيام كانت
تصول بها الفراعنة العظام

كما أشاد بمجد مصر وعظمتها في قصيدة غراء قالها في عام ١٩٢١ علي أثر قطع مفاوضات عدلي – كيرزون وكان عنوانها "مصر فوق الجميع"[٥٤] فقال

وقف الخلق ينظرون جميعاً
كيف أبْني قواعد المجد وحدي
وبناه الأهرام في سالف الدهر
كفوني الكلامَ عند التحدي
أنا تاجُ العَلاء في مَفْرِق الشرق
ودرّاتُه فرائدُ عقدي

وإلي جانب ذلك فقد آلف حافظ إبراهيم كتاباً عنوانه "ليالي سطيح" وهو كتاب كتبه نثراً وان تضمن فقرات من الشعر ، وجعله حواراً بين أبناء النيل خاصة التلاميذ، وسطيح وهو فيلسوف من الأقدمين ، وقد تناول الحوار شؤون أبناء مصر في ظل الاحتلال ، وما كانوا عليهم في عصور أجدادهم الأوائل من قوة ومنعة ونشاط[٥٥].

---

[٥١] انظر الشوقيات حـ١ ، القاهرة ، ١٩٥٠ ص ١٦٣-١٦٤.

[٥٢] الشوقيات حـ٢ ص ١٩.

[٥٣] نشأ نشأة شعبية ، فكان أقرب إلي روح الشعب المصري وأقدر من غيره علي تصوير آلامه وآماله للتفاصيل انظر عبد الرحمن الرافعي: شعراء الوطنية في مصر القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ص ١٢٢ – ١٢٥.

[٥٤] أنشدت هذه القصيدة كوكب الشرق أم كلثوم.

[٥٥] للتفاصيل أنظر حافظ إبراهيم ، ليالي سطيح ، القاهرة ، دار الهلال ، العدد ١٠٠.

ولم يقتصر أمر الدعوة إلي الفرعونية علي ذلك بل ازداد الأمر اتساعاً فشمل العديدين من زعماء مصر ومفكريها كما احتضنته معظم الأحزاب المصرية ، وفيما يلي نعرض لذلك:

١- علي الرغم من أن الزعيم الوطني مصطفي كامل كان من أنصار فكرة الدعوة إلي الجامعة الإسلامية ، وإن هذه الفكرة كانت متفوقة في ذهنه علي الدعوة إلي القومية المصرية فإنه دعا أبناء وطنه إلي عدم قطع الصلة بينهم وبين ماضيهم واستلهام العبر والعزة والكرامة الوطنية منه فقال[٥٦] "ولو تدبر المصريون وعنوا بآثار بلادهم لعلموا إنها الدليل الباهر والحجة الدامغة علي قوة الأمة المصرية في الأزمان السابقة ، وإن ملكوها إنما سخروا الأسرى من الأمم المقهورة لها وما أكثرهم! في هذه العمارات المدهشة التي تولي إدارتها مهندسو مصر و علماؤها. وكيف ذلك؟ أتكون الأمة المصرية ذليلة في يوم مولدها وهي التي تنطق آثارها بأنها تنقلت في ميادين الفتح والغزو من ميدان إلي ميدان؟ .

٢- وبالنسبة إلي جريدة "المؤيد" فقد استخدم صاحبها "الشيخ علي يوسف" أجزاء من التاريخ المصري القديم لتذكير المصريين بأمجادهم[٥٧] وبعث الإحساس في قلوب مواطنيه بشخصيتهم القومية فكان استحضاره للعصور الغابرة التي كان حسن الإلمام بها يتيح له أن يبعث في نفوس قرائه الأيمان بالمستقبل وقد كان علي "يوسف بارعا" في استخدام الرباط القوي الذي يربط بين المصريين منذ عهد بعيد ، وفي تأسيس وطنيتهم علي أساس من تلك العاطفة العميقة الجذور[٥٨].

٣-عند قيام ثورة ١٩١٩م نسي المصريون كل خلافاتهم وخفت صوت الدين بعد أن قام بنصيب كبير في إشعال نارها ، وأطلت الدعوة إلي الفرعونية برأسها وأسفرت عن وجهها بعد أن كانت لا تظهر إلا مقنعة أو من وراء ستار ، وانتهز دعاتها هذه الفرصة المواتية فنشطوا لغزو الأفكار بها وملئوا أبصار قارئي الصحف بالدعاية لها ، ورسموا رأس أبي الهول علي طوابع البريد وعلي الأوراق المالية ، واتخذه النحات محمود مختار شعاراً لتمثال نهضة مصر وبدأ سعد زغلول يذكر المصريين بأمجادهم ومن ذلك قوله" أنتم أنبل الوارثين لأعظم المدنيات".

وإلي جانب ذلك اتخذت كل كلية من كليات الجامعة المصرية شعاراً فرعونياً لها .

وبعد وفاة سعد زغلول بثلاث سنوات نقلت رفاته إلي ضريح علي طراز فرعوني . وانتشر الطابع الفرعوني في كثير من أبنية الحكومة وادارتها الرسمية وأخذت الدعوة إلي الفرعونية في الانتشار ، وبدأت في مواجهة فكرة الجامعة الإسلامية[٥٩].

وتزعمت صحيفة السياسة الأسبوعية الدعوة إلي بعث الفرعونية ، فتحدثت عن الفراعنة وحضارتهم وأمجادهم وطالب الدكتور هيكل في إحدى أعداد هذه المجلة بدراسة تاريخ مصر وآدابها وحضارتها القديمة داخل أروقة الجامعة المصرية ، كما طالب الفنانين المصريين باستلهام تاريخ مصر في عصوره المختلفة أثناء رسم لوحاتهم ، وناقش الموضوع كقضية من قضايا الشخصية المصرية[٦٠].

---

[٥٦] مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : أوراق مصطفي كامل - الخطب ، القاهرة الهيئة العامة للكتاب ص ٢٥٨ .

[٥٧] انظر علي سبيل المثال. منتخبات المؤيد ، السنة الأولي - مقال بعنوان "يا بني مصر" ص ٤٧ .

[٥٨] سليمان صالح: الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد ، القاهرة ، سلسلة تاريخ المصريين العدد ٣٧ ص ٢٨.

[٥٩] محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر جـ٢ ،بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص١٤٥-١٤٧ .

[٦٠] السياسة الأسبوعية:العدد ٩٦ بتاريخ ١٩٢٨/١/٧ تحت عنوان " هل من خطوة جديدة في سبيل الفن المصري" .

وإلي جانب ذلك فقد غالي بعض كتاب السياسة الأسبوعية في هذا الموضوع فذهبوا إلي تمجيد كل ما هو مصري قديم وطالبوا بالعودة إليه والسير علي هديه [٦١].

وظلت قضية بعث الفرعونية والدعوة إليها كأيْنة ضمن قضايا السياسة الأسبوعية في موضوعات متعددة وفي كثير من كتابات أدبائها ومحرريها.

وتبني حزب مصر الفتاة فكرة بلورة القومية المصرية في شكل الدعوة إلي الفرعونية خاصة بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ، وقد نمت هذه الفكرة بشكل واضح عندما اعتلت وزارة الشعب برئاسة سعد زغلول أريكة الحكم في عام ١٩٢٤م وهي أول حكومة تتربع علي كراسي الحكم بإرادة شعبية مما شجع علي اعتزاز المصريين بأصلهم القديم وان يتنادوا ببعث أمجاد الفراعنة الأجداد ،وقد كان لاشتراك " أحمد حسين" عندما كان طالباً بالمرحلة الثانوية في تمثيل إحدى الروايات الفرعونية ، وكذلك رحلته إلي الأقصر وأسوان في عام ١٩٢٧م ومشاهدته لآثار الفراعنة هناك أبلغ الأثر في تحمسه للدعوة إلي الفرعونية حتى أنه تسمي بأسم " أحمس" ، وبدأ يطرح أفكاراً تدور حول بعث مجد مصر الفرعونية وضرورة تأسيس إمبراطورية مصرية تشمل السودان إلي جانب مصر، وأن تكون مصر فوق الجميع وتكون كلمة المصرية هي العليا وما عداها هراء لا يعتد به[٦٢].

وهكذا يتضح أن موجة الدعوة إلي الفرعونية لم يفلت منها معظم الشعراء والزعماء الوطنيين خلال فترة الاحتلال البريطاني ومحاولات المصريين الحصول علي استقلال بلادهم ، وان هذه الموجة وقفت بالمرصاد أمام فكرة الدعوة إلي الجامعة الإسلامية خاصة وأن معظم الوطنيين المصريين كانوا يفضلون الولاء للوطنية عن الارتباط بجامعة الدين بحيث إذا تعارض الدين مع الوطنية فأنهم كانوا يفضلون الوطنية.

واستمر هذا التيار بارزاً حتى تحقق لمصر استقلالها فتبنت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م تياراً آخر دعا إليه الرئيس جمال عبد الناصر وبدأ يشتد عوده لفترة ثم انفرط عقده نتيجة للخلافات بين الحكام العرب ،والتخبط في طريقة تحقيقه

---

[٦١] السياسة الأسبوعية:العدد ١٢٠ بتاريخ ١٩٢٨/٦/٢٨ مقال للأستاذ حسن صبحي تحت عنوان " في الأدب المصري" .

[٦٢]-علي شلبي : مصر الفتاة ودورها في السياسة المصرية ١٩٣٣-١٩٤١، القاهرة، دار الكتاب الجامعي ١٩٨٢ ص٢١٨-٢٢٠.